حرب البوير: عرض لوقائعها واحداثها في منشورات مجلتي الهلال والمقتطف
دراسة تاريخية ١٨٩٩- ١٩٠٢

م. د. عباس غلام حسين
وزارة التربية/ مديرية تربية الرصافة /الاولى
Email:abas197777@yahoo.com

الملخص:

سلطت الدراسة الضوء على موضوعات ارتبطت بمعرفة الاسباب الحقيقية التي دفعت بريطانيا لخوض حربا شرسة ضد البوير، اذ شهد الطرفان صراعا امتد منذ القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين في جنوب افريقيا. وتكمن اهمية الدراسة فيما ألت اليه جنوب افريقيا من تحول اقتصادي وسياسي وديمغرافي حطت بتداعياته على السكان المحليين وجلبت عليهم الويلات والاحتقار. وخرجت الدراسة باستنتاجات عدة في مقدمتها ان المجلتين عكستا الصورة الحقيقية للقارئ العربي عن تلك الحرب. قسمت الدراسة على ثلاثة مباحث. تناول الأول، الخلفية التاريخية للوجود الاوربي في افريقيا، فيما حدد الثاني على طبيعة الإدارة البريطانية في جنوب افريقيا، وحدد الثالث أسباب ونتائج الحرب، ودعوات السلام وطي صفحة الحروب.

الكلمات المفتاحية :حرب–البوير –الهلال –المقتطف

Abstract

This study sheds light on issues of interest to find out the real reasons that prompted Britain to wage a fierce war against the Boers, in which the two sides witnessed a conflict that extended from the eighteenth century until the twentieth century in South Africa. The importance of the issue lies in the economic, political and demographic transformation that South Africa has witnessed on the local population due to the scourge and contempt they have received. The study came out with several conclusions, in the forefront of which is that the two newspapers reflected the true picture of the Arab reader of the wars in South Africa. Divided into three chapters. The first dealt with the historical frameworks for the European presence in South Africa, while the second dealt with the British administration, and the third dealt with the causes and consequences of the war, and calls for peace and turning the page on wars.

Key words: Boer- War- Al-Hilal - Al-Muqtataf

المبحث الاول: الخلفية التاريخية لنشاط القوى الاوربية في جنوب افريقيا حتى عام ١٧٩٥

يعود كشف القارة الافريقية الى نهايات القرن الخامس عشر الميلادي، اذ كان البرتغاليون من أوائل المغامرين الاوروبيين في كشف المنافذ وطرق التجارة الجديد الى الشرق (حوراني، ١٩٥٨:٢٣٧). وكان نجاح تلك المغامرة للبحار البرتغالي (بارثولميوديازBartolomeo Dias) في عام ١٤٨٦ الذي وصل منابع نهر الاورانج في جنوب افريقيا، ومن ثم الى اقصى الساحل الجنوبي للقارة، اذ تزامن مع وصوله هناك جو عاصف أطلق عليها تسمية رأس العواصف (Bwll, 1899: 11-12). فيما وصل (فاسكوديكاما Vascodicama)الى الهند في عام ١٤٩٨ للدوران حول القارة الجنوبية أيضا مما اعطى أهمية كبرى لتوسطها الطريق الملاحي للموانئ البرتغالية في أوروبا من جهة، وبين مستعمراتها في الهند من جهة ثانية. وبات من المؤكد اعتماد البرتغاليين على اقامة الحصون والقلاع في احتلالهم لأفريقيا، وبذلك سبقوا غيرهم في السيطرة على (تجارة العبيد) (The New ،Encyclopedia Britannica1988:875)، لاسيما بعد ازدياد حدة المنافسة التجارية والاستعمارية بين هولندا من جهة، وبريطانيا وفرنسا والتي مثلت التجارة أبرز مجالاتها من جهة ثانية (وايدنر،١٩٧٦:12) .

لا شك ان طبيعة الموقع الجغرافي لهولندا، جعل من ملاحيها يمتلكون خبرة واسعة في ركوب البحر، في الوقت الذي انحسرت فيه قوة البرتغال البحرية، وفي ذلك الوقت ان الهولنديين لم ينطلقوا من دوافع دينية كما فعل البرتغاليون سابقا، الا أنهم نجحوا في الاستحواذ على المياه الشرقية، ففي خضم تلك الاوضاع وبعد سلسلة من المواجهات فيما بينها وبين البرتغال حول السيادة البحرية والسيطرة على طرق التجارة ، استطاعت هولندا من الانفراد بتلك الطرق نحو الشرق واحتلالها للطرق والجزر المهمة، مثل سانت هيلانه وجزر الهند الشرقية عام ١٦٤٥ (الجمل،١٩٧١: ٢٥٢) .

وسعت هولندا نشاطها التجاري، لاسيما بعد الاستقرار السياسي الذي تمتعت به، اذ اعطت الحكومة الهولندية امتياز تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية بتمويل من المركز المصرفي في Troup)، (1972:35امستردام الهولندي عام ١٦٠٢، لتدخل ميدان التنافس التجاري والبحري، بعد ان منحت ترخيصا للاحتكار التجاري في المناطق الممتدة من رأس الرجاء الصالح حتى جزيرة جاوا في جنوب شرق إندونيسيا التي أطلق عليها (باتا فيا)، لربما تيمناً باسم عاصمة هولندا منذ القدم (اندونيسيا حاليا) (جوليان،١٩٦٨: ١٠٤).

شهدت شركة الهند الشرقية الهولندية حادثة مهمة غيرت فيما بعد من مجرى الاحداث في جنوب افريقيا ، ففي شتاء عام ١٦٤٧ حطمت الرياح والعواصف الرعدية احدى سفن الشركة المعروفة باسم هارليم

اثناء عودتها من مستعمراتها في الشرق الى هولندا، مما اضطر طاقم السفينة بالمكوث لعدة اشهر في جزيرة الكاب كما عرفت فيما بعد، اذ اطلع طاقم السفينة وربانها على احوال الجزيرة، ومدى صلاحية الارض والموقع للزراعة والسكن، فوافقت حكومة الشركة على استغلال ذلك الموقع للزراعة، وتقديم الخدمات من ماء صالح للشرب ومحطة استراحة لسفن الشركة اثناء رحلتها من والى مستعمراتها في الشرق، وبذلك شكل تأسيس(Millin,1941:48). اول محطة استراحة بداية لوصول الاوروبيين لأفريقيا عام ١٦٥٠

منحت حكومة الشركة صلاحيات واسعة لقائد محطة الكاب الهولندية في جنوب افريقيا، الا انها لم تفكر في انشاء مستعمرة بالمعنى الحقيقي، الا ان ذلك لم يمنع من اتخاذ اجراءات عدة، اذ زادت من عدد قواتها فيها، وكوادرها من الفلاحين والموظفين، ونظرا لقلة

خبرتهم في تحقيق متطلبات المحطة، لذا أصبح لزاما الاتيان بفلاحين مهرة من هولندا بدلاً عن موظفي الشركة (اوليفر وفيج،١٩٦٥: ١٧٥)، اذ جيء بمزارعين هولنديون عرفوا بـ(البوير)

(The New Encyclopedia Britannica,1988:320) تمييزا عن موظفي الشركة وغيرهم من مستعمراتها في الهند ومدغشقر وجزيرة جاوا والبعض من العبيد من غرب وكان ذلك بداية، Marais)، (1962:13 افريقيا والذي بلغ عددهم نحو(١٢٥٨)، شخصا (Marquard,1960,:4). حقيقية للوجود الاوربي في افريقي

شهدت المستعمرة تطورا مهما في توسيع رقعة الاراضي الزراعية، والذي توافق مع تزايد اعداد السكان، ولذلك ضمت لها مساحات واسعة، واعتمدت في مجال توسيعها على الاحتلال والتغلغل نحو الداخل الافريقي، وادى ذلك الى دخول المستعمرة في مواجهة ضد السكان المحليين اصحاب الارض ما أثر في عملية الاستحواذ (الصقار،١٩٦٢: ٩٨-٩٩)، فضلا عن ان قيام بعض الاشخاص بالتوسع دون علم الشركة والتغلغل تجاه الداخل في خارج سيطرة إدارة (Walker,1941:90). المستعمرة

لم يكن في خلد إدارة الشركة تحويل المحطة الى مستعمرة، بل لاستراحة السفن، واستمر عملها لسنوات عدة، الا ان القائمون عليها وسعوا المحطة للاستيلاء على أكبر عدد من المساحة المزروعة، وزيادة في عدد الفلاحين بعد استقدامهم من هولندا بناء على توصية من إدارة المحطة، وفي ذات الوقت استقدمت الشركة العبيد من مستعمراتها لأجل اعمال السخرة وإنعاش المحطة التي قررت إدارة الشركة تحويلها الى مستعمرة فشكل ذلك بداية مرحلة جديدة للاستيطان في جنوب افريقيا (وايدنر،١٩٧٦: ١٦٠).

بالرغم من انتعاش المستعمرة في اغلب مفاصلها وتوسيع مساحتها الزراعية، الا ان ذلك النشاط تعثر بسبب سياسة إدارة الشركة التي حددت للمزارعين زراعة أنواع معينة، واعاقة تقدمها، فادى الى نفور بعض المزارعين من التعامل مع الشركة وتحويل اهتماماتهم نحو تربية المواشي، على غرار مهنة اغلب السكان المحليين، فاضطرت الشركة مع هذا الاجراء الى استقدام اعداد من العبيد، لسد النقص الحاصل في اعداد المزارعين، فنتج عن ذلك بعض المشاكل الاجتماعية، وفي مقدمتها ظاهرة الزواج غير الشرعي الذي أقامه العنصر الأوروبي مع النساء الافريقيات، ما نتج عنه ظهور عنصر جديد غير مرغوب فيه في المستعمرة انعكس سلبا على مكانتهم الاجتماعية، عرف بـ(مجتمع الكاب الملون)، كما امتزجت اللغة الهولندية مع وهي تسمية ذات مغزىAfrikaner) لغة السكان المحليين لينتج لغة جديدة عرفت (الافريكانر (Marqued,1960:4). لتحويل تبعيتهم السياسية من البلد الأصلي الى افريقيا

واجهت الشركة خلال مسيرتها الأولى معوقات عدة نتيجة لتزمتها في قراراتها ، مما حدا ببعض المزارعين البوير الاحرار الذين تركوا العمل في الشركة مقاطعة منتجاته، فضلا عن ذلك شهدت المستعمرة اعمال سرقات متكررة للماشية من قبل سكانها المحليين ردا على سياسة المستوطنين، الذين استولوا على أراضيهم دون حق، اذ مثلت الحرب الأخيرة التي جرت وقائعها عام ١٧٧٨ بداية لسلسلة من الحروب التي خاضها الجانبان، وكان اخرها عام ١٨٧٧ عرفت بحروب الكافيرز نسبة لقبائل الكافيرز، ونجحت المستعمرة في اول اختبار لها اثر تشكيلهم مجلس للحرب من المستوطنين، فزاد من قدرة المستعمرة للدفاع عن نفسها. وكان سكانها أكثر خسائر مادية وبشرية تضررا ماديا وبشريا (وير،١٠٨٦: ٤٩).

ويظهر من تتبع تاريخ مستعمرة الكاب انها قد اعتمدت في توسعها على التوغل والسيطرة الى داخل افريقيا، فيما شهدت المستعمرة تطورا عمرانيا وازدهارا اقتصاديا، اذ شيدت اغلب ابنيتها على الطراز الاوروبي الحديث الى جانب المباني التابعة لإدارة الشركة، وتبنت الأخيرة قرارات عدة بشأن ملكية الأراضي والذي حظى بالقبول تارة وبالرفض تارة أخرى، الا ان تلك الانظمة أخفقت في وضع حد لهجرة المستوطنين الجدد والتوسع خارج حدود المستعمرة بحثا عن أراضي خصبة ومساحات شاسعة لإعادة استثمارها، بصورة افضل الامر الذي زاد من حجم بينهم وبين السكان المحليين من جهة، وعلاقتهم مع إدارة الشركة من جهة الهوة ثانية (Walker,1941:90).

دخلت شركة الهند الشرقية الهولندية في سبعينيات القرن الثامن عشر مرحلة حرجة من المديونية وعجزا واضحا في ميزانيتها فوصل الى مبالغ جسيمة، واستشرى الفساد بكل اشكاله والذي اطاح بها في وقت

مبكر من عمرها، فضلا عن تصاعد الصراع البريطاني – الفرنسي في اوروبا وانعكاسه على مستعمراتهما في افريقيا والهند، وكانت المحاولة الأولى تعزيز سيطرتها على الانشطة التجارية في الشرق قد عجل من تفاقم العجز التجاري للشركة، وتزامن ذلك مع التطورات السياسية التي شهدتها هولندا، مما انعكس سلبا على زيادة فرص تحجيم دور فضلا عن ،(Walker,1941:32) الشركة، وبالتالي ضعف قدرتها على مواجهة الغزاة الجدد الصراعات الداخلية في اوروبا، وانشغال هولندا بحرب الاستقلال الاميركية (١٧٧–١٧٨٣)، فقد ارسلت كلا من بريطانيا وفرنسا بقواتهما نحو المستعمرة، فتعرضت لسلسلة من ظروف الاحتلال المتبادلة، اذ احتلت فرنسا الكاب عام ١٧٨١لأهميتها الاستراتيجية وتحسين، موقفها في

. ومع اقتراب الاجتياح الفرنسيCann&Duignan)،(1969:325 مفاوضاتها مع بريطانيا لهولندا سارعت الأخيرة الى التقرب من بريطانيا، وتوج هذا التقارب بتحالف سياسي سري عام ١٧٩٢ قضى بمنح بريطانيا حق الوصاية على جميع مستعمرات الشركة الهولندية، مقابل تامين تجارة التوابل مع الصين، وحال اجتياح فرنسا لهولندا، تحركت القوات البريطانية في الثالث من نيسان عام ١٧٩٥ بأسطولين صوب مستعمرة الكاب بهدف وجودها الاستعماري(Spuler,1977:558).

المبحث الثاني: الادارة البريطانية في جنوب افريقيا ١٧٩٥–١٨٩٩

شكلت هزيمة هولندا امام فرنسا عام ١٧٩٥ دافعا لبريطانيا للاستحواذ على مستعمرة الكاب، الا ان الامر لم يستمر للطرفين بعد صلح (اميان)، الذي قضى لتسوية فيما بينهم، ونقل صلاحيات المستعمرة الى جمهورية باتا فيا ،(Marquard,1968:108) عام ١٨٠٣ الموالية لفرنسا ، وبعد تجدد الحروب في الجبهات الاوربية وانعكاسها على المستعمرات، أقدمت بريطانيا لاحتلالها ثانية ووضعت اليد عليها بعد سلسلة من التسويات قادت الى مؤتمر، فينا وبعد ذلك اصبح البوير من ذوي الأصول الهولندية ، (Walker,1963:220)عام ١٨١٥(Walker,1963:265). تحت رعاية الحكومة البريطانية

أقدمت بريطانيا منذ احتلالها لمستعمرة الكاب بتنفيذ جملة من الإجراءات الإدارية على وفق الأساليب والقوانين السائدة في المستعمرات بطريقة أقرب الى الإدارة البيروقراطية، ولان أكثر الإجراءات وأساليب الشركة الهولندية تقليدية من حيث السياقات المتبعة في المستعمرة، وارفقت الإدارة البريطانية بتقرير لجنة من وزارة شؤن المستعمرات، التي قيمت الوضع في مستعمرة الكاب، واوصت بضرورة اجراء مراجعة شاملة لمفاصل الحياة كافة، اذ بدأت الإدارة الجديدة بإجراء اصلاحات على نظامها الاستعماري، ومنها تأسيس مجلس تشريعي ومحكمة عليا تراقب السلطة التشريعية، والحد من سياسة التمييز العنصري المتطرف التي اتبعها

البوير الهولنديين تجاه السكان المحليين في جنوب افريقيا. من جانب اخر وبغية اجراء توازن سكاني مع البريطانيين دعمت الإدارة البريطانية رعاياها بالهجرة الى المستعمرة، وكلفتهم بإدارة اغلب الدوائر والمنشأة الحكومية والحيوية منها، كما دعمت بشكل قوي ولافت عمل الارساليات الدينية التابعة للكنيسة الإنكليزية (الأنغليكانية) التي مارست نشاطا تبشيريا واسع النطاق، لاسيما مناطق الحدود ذات القبائل الكبيرة القاطنة في جنوب افريقيا بحجة حماية الاجناس الأخرى في المستعمرات البريطانية ما وراء البحار وتحويلها الى الديانة المسيحية (سياسة التنصير)، فضلا عن الإجراءات السابقة وبعد ان انهت بريطانيا ادارتها العسكرية أقدمت على خطوة مهمة جدا تمثلت باعتبار اللغة الإنكليزية لغة رسمية في الدوائر الحكومية، وكانت النتائج المهمة لتلك الإصلاحات اصدار مرسوم من مجلس العموم البريطاني يقضي بإلغاء تجارة الرقيق في المستعمرات البريطانية كافة وكان لمستعمرة الكاب نصيب منه، كما شمل الإصلاح الجوانب المالية والاقتصادية، وفرض العملة البريطانية بدلا من العملة الهولندية التي انخفضت الى ادنى مستوياتها، ما شكل عائقا في تصريف منتجات البوير (وايدنر،١٩٧٦: ١٧٤).

غيرت الإصلاحات والإجراءات الاخيرة للإدارة البريطانية القيم والعادات لجميع البوير الامر الذي ولد ردود أفعال عكسية في جنوب افريقيا، وباتوا رعايا خاضعين لبريطانيا، فضلا عن عوامل أخرى اسهمت في توتر حدة العلاقات بين الجانبين، وفي مقدمتها العامل الديني لدى البوير المرتبطين بالكنيسة الهولندية، والمتقاطع مع توجهات الكنيسة الأنغليكانية وارسالياتها (.Troup,1972:86) في الكاب

اصغت الحكومة البريطانية لتقارير التي رفعها المبشرين في الارساليات الإنكليزية والمتعلقة بالسكان المحليين وما تعرضوا له من معاملة وحشية في حقول المزارعين البوير، الذين وجدوا في الغاء الرقيق ضربة موجعة وعملية استهداف مباشرة لمصالحهم في المستعمرة، كما وجدوا في القوانين الأخيرة بانها كانت موجهة ضدهم بهدف النيل من عاداتهم وموروثهم وثقافتهم الهولندية، فضلا عن انتشار الشائعات بفرض نظام الزواج المختلط بين السود والبيض ، وعدم اعترافهم بلغة البوير وغيرها من الأسباب مثل رغبة البوير في الحفاظ على جنسهم بعيدا عن الاختلاط بالأجناس الأخرى، في إشارة للبريطانيين والسكان المحليين على وفق فكرة (شعب الله المختار)، وامام تلك الإجراءات اضطر البوير النزوح بأعداد كبيرة عرفت باسم (الهجرة العظيمة) (وايدنر،١٩٧٦: ١٣١-١٥٢).

فضل البوير الهجرة على شكل مجموعات متعاقبة باتجاه ناتال، والقسم الاخر اتجه بمحاذاة نهر الفال ودخلوا في معارك طاحنة مع قبائل الزولو المحاربة وغيرهم، الا انهم نجحوا في تخطيها، ولاحقتهم بريطانيا

نحو الناتال في محاولة لإرجاعهم، فيما غيّر بعضهم طريق هجرته شمالا بمحاذات نهر الفال، اذ استقروا واسسوا جمهورية الترانسفال، بينما اختار البعض الآخر منهم مواصلة المسير حتى استقروا في أراضي قبائل البانتو بين نهري الفال والاورانج ،وفي اعقاب تلك التطورات دخلوا(Troup,1972:11) وأقاموا عليها جمهورية الاورانج الحرة .(The New Encyclopedia, Britannica,1988:395)في معارك مع قبائل الباسوتو

بعد اندلاع حرب السكان المحليين مع البوير تارة وبريطانيا تارة اخرى، ظهر اتجاه في مجلس العموم البريطاني يؤمن بضرورة الحد من التوسع فيما وراء البحار عامة واراضي جنوب افريقيا على نحو خاص، الامر الذي دعاهم الى التقرب من البوير لوقف ضغوطات قبائل الباسوتو، التي اعلنت حربا مفتوحة ضد الوجود البريطاني، لذا عقدت بريطانيا سلسلة من الاتفاقيات مع البوير منها اتفاقية الساند ريفر في ١٧ كانون الثاني عام ١٨٥٢ مع جمهورية الترانسفال، واخرى مماثلة باسم اتفاقية نهر الاورانج مع جمهورية الاورانج الحرة في ٢٣ شباط عام ١٨٥٤، واعترف مجلس العموم البريطاني بهذه الاتفاقيات مضطرا لوضع حد للصراعات الدائرة في جنوب افريقيا، اذ منحت استقلال تلك الدولتين وقررت بيع الاسلحة والاعتدة لهما ، مما قوى من عزيمتهما للتصدي للخطر المحدق بهم من قبل قبائل الباسوتو والبانتو(الموسوعة العربية، د.ت: ٦٤٤)، وبناء على ما تقدم استجمعت قبائل الباسوتو قواها للهجوم على جمهورية الاورانج لإسقاطها، فحالت بريطانيا دون انهيارها، مما عزز العلاقات ووحدت . (Troup,1972:86)السياسات بين البوير وبريطانيا ضد السكان المحليين عام ١٨٥٨، وبذلك يمكن القول ان الإدارة البريطانية افتقرت الى الحكمة عندما أعلنت الحرب ضد قبائل الباسوتو عام ١٨٦٨،فاضطرت تلك القبائل لطلب الحماية من الحكومة البريطانية للتخلص من هجمات البوير المتكررة لتضع حدا لها من جهة، وعززت من قدرة البوير العسكرية على مواجهة بريطانيا من جهة اخرى.

المبحث الثالث: حرب البوير اسبابها ونتائجها ووقائعها ١٨٩٩- ١٩٠٢

اولا: الاسباب والنتائج

بعد ان اتسعت الجمهوريات البويرية على شكل دويلات صغيرة الى خمس جمهوريات توحدت فيما بينها مثل (الترانسفال، الاورانج الحرة، اوترخت، زاوتبانسبيرغ، ليدنبيرغ)، واما بريطانيا سعت لتوحيد مستعمراتها (الكاب، الناتال، كافراريا) (وير،١٩٨٦: ٢٣٥)، وعلى اثر اتساع الخلافات بين تلك العناصر وزيادة تكاليفها على الحكومة البريطانية طرحت مشروعها لتشكيل اتحاد فدرالي او كونفدرالي، لتوحيد العناصر الاوربية البيضاء

في جنوب افريقيا عارضه .وعلى اثر ذلك ساءت علاقة البوير مع(Troup,1972:86) البوير خشية ضياع مكتسباتهم ، الإدارة البريطانية على اثر ضم منطقة الجريكا الغربية للأخيرة، اثر كشف الماس فيها عام ١٨٦٨ في منطقة كمبرلي التي خضعت لجمهورية الاورانج الحرة ، وبعد ان خضعت للتحكيم ضمت قسرا فيما بعد عام ١٨٨٠ الى مستعمرة الكاب مما زاد من حدة الخلاف بين بريطانيا وبين الجمهوريات البويرية، التي عانت من خلافات واوضاع اقتصادية مضطربة، فاستغلتها بريطانيا وقامت بضم الجمهوريتان الى المستعمرات البريطانية بحجة عدم تمكنها من إدارة نفسها في الجوانب الاقتصادية والامنية دون ان تعي نتائجها الوخيمة، ولعل ما اثاره السكان من روح حماسية استغله قادة البوير ضد الحملة العسكرية البريطانية مما اسهم في تعقيد المشهد السياسي في جنوب افريقيا، الامر الذي قاد في نهاية المطاف القيام بثورة عام ١٨٧٩تطور لاندلاع حرب البوير الاولى عام ١٨٨٠، وعرفت في عرض المصادر والصحف بـ(حرب وانتهت بانتصار البوير عام١٨٨١،وتزامن (Walker,1963:404) الاستقلال الترانسفالية) ذلك مع استقلال الترانسفال وصول حزب الاحرار الى السلطة في بريطانيا والذي، اذ انه لم يتورع في انتقاد سياسة حزب المحافظين في جنوب افريقيا في نيسان ١٨٨٠، لذا آثرت الحكومة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للجمهوريات البويرية واعادة السلام فيما بينها وبين الجمهوريات، فضلا عن المؤثرات الخارجية التي مثلت الصراع البريطاني مع المانيا التي حاولت التوسع على حساب المستعمرات البريطانية وشكلت تهديدا مستمرا لها، فآثرت بريطانيا لاحتواء البوير، وعقدت معها معاهدة لندن عام ١٨٨٤، الذي اشارت فيها موافقتها الاعتراف بالحكم الذاتي للترانسفال مقابل حق بريطانيا حماية السكان المحليين والاجانب الاوربيين في مناطق الجمهورية، وإدارة شؤونها الخارجية، وبهذه الطريقة استطاعت بريطانيا ازالة الخطر (Walker,,1963:405). الالماني الذي ظل محل تهديد مستعمراتها في افريقيا

الا ان بريطانيا لم تستطع التخلص من التهديد الالماني الا بعد معاناة قاسية، بعد ان)[*] رئاسة الحكومة Cecile John Rhodes١٨٩٤- ١٨٩٠(تولى (سيسل جون رودس البريطانية في مستعمرة الكاب عام ١٨٩٠ (الساعدي والعبادي،٢٠١١ :١-٨)، واطلق مشروعه للربط السككي للمستعمرات البريطانية بمد سكة حديد القاهرة – الكاب، الذي ربط الشمال بجنوب القارة ومدنها الصناعية لتكون فاصلا بينها وبين جنوب غرب أفريقيا التي رضخت تحت السيطرة الالمانية حتى عام ١٨٩٣ (رياض،١٩٦٥: ١٣٥).

عمل رودس لرفع اسم بريطانيا وتعزيزها في مستعمراتها وحقق طفرة نوعية في السياسة البريطانية، أبان ترأسه حكومة الكاب، الا انه فشل في دعم تمرد بقلب الاوضاع في الترانسفال تمهيدا للثورة قادها الرعايا الاجانب الوافدين ومن الاغلبية البريطانية عملوا في مناجم الماس والذهب، بحجة الدفاع عن حقوقهم ومنحهم حقوق انتخابية في البرلمان الترانسفالي عام ١٨٩٥، عرفت تاريخيا بـ (غارة جيمسون) (الجمل،١٩٧١: ٢٧٧)، الذي يعد مساعدا لرودس ومديرا لشركاته في جنوب افريقيا، اذ قادت هذه التطورات الى نتائج وخيمة، غيرت من مسار العلاقات السياسية بين الجانبين من جهة، وبين بريطانيا وألمانيا من جهة ثانية والتي قدّر لها ان تزيد من تدخلها بالمنطقة واستمالة البوير لها،والعمل معا لضرب المصالح البريطانية مثل التثنية وارسال التهاني على جهود جمهورية الترانسفال وهي تتصدى للمحاولات الفاشلة لثني بريطانيا سياسيا، حتى ظن البوير ان المانيا ستقف الى جانبهم لنهاية المطاف، وهوما حفّز بريطانيا لإظهار قوتها في جنوب افريقيا بعد ان استطاعت تسّوية اكثر خلافاتها مع المانيا، مما مهد الطريق لأكبر حرب وقعت في جنوب افريقيا عرفت بحرب البوير الثانية ١٨٩٩– ١٩٠٢ (Troup,1972:188).

ايقنت بريطانيا ان حرب البوير عام ١٨٩٩، باتت وشيكة بناءً على التقارير)[*] (عباس،٢٠١٥:١٨٧)Alfred Milnerوالتوصيات التي قدمها السير (الفريد مِلنر ،المندوب السامي وحاكم عام لمستعمرة الكاب، والذي بُعث من قبل وزارة شؤون المستعمرات في الحكومة البريطانية عام ١٨٩٧، لامتلاكه حنكة ودهاء سياسيَين في التعامل مع البوير، وكانت قضية عمال المناجم البريطانين العاملين في الترانسفال جوهر الصراع بين الطرفين المتحاربين، فضلا عن ذلك طالب الرعايا (The new Encyclopedia Britaninca,1988:140(بالحقوق السياسية والمدنية والتي رفضت ترانسفال تضمينها في الدستور في كل مفاوضاتها، وحتى في انتخابات عام ١٨٩٧ التي فاز فيها الرئيس بول كروكر لولاية رئاسية جديدة، لذا منع الرعايا من المشاركة فيها، وعلى اثر ذلك شجع السير مِلنر الجماعات الرافضة لسياسة كروكر في اثارة الفوضى والاضطرابات في البلاد، فضلا عن ذلك اعلنت وزارة شؤون المستعمرات البريطانية عن حقها القانوني وفقا لبنود معاهدة لندن لعام ١٨٨٤ في مهاجمة ترانسفال في حال عدم اقرارها بحقوق الرعايا البريطانيين (وير،١٩٨٦: ١٨٤).

سعت اطراف عديدة لحل المشاكل العالقة بين الطرفين منها دعوة رئيس جمهورية الاورانج الحرة في ١٣ من ايار ١٨٩٩، الا ان المندوب السامي ماطل دون التوصل لأي شكل من اشكال الحلول بدفع من كبار رجال الاعمال البريطانيون أصحاب الشركات العاملة في التعدين باتجاه الحرب، بحجة حماية

الرعايا البريطانيين (وير،١٩٨٦:١٨٤) ، ونتيجة لذلك تزايدت الاتهامات فيما بينهما، وادى تحشيد كلا الطرفين لقوتيهما على الحدود، وادركت الترانسفال منذ البدء في ان خيار الحرب بات امرا واقعا لا مفر منه، من جانبها خططت بريطانيا لجلب قواتها من أماكن بعيدة لقلة قواتها في الهند وبعض مستعمراتها القريبة من الكاب ومواقع أخرى استعدادا للحرب، فيما بادرت ترانسفال بتوجيه انذار شديد في التاسع من تشرين الاول ١٨٩٩ للحكومة البريطانية طالبتها بالابتعاد عن حدود البلاد في غضون (٤٨) ساعة، وعلى(Walker,1963:26). ولم تأبه بريطانيا للإنذار مما أدى لقيام الحرب بين الطرفين نحو عام كان مسار الحرب التي حقق فيها البوير انتصارات واضحة للعيان اربكت الادارة البريطانية والراي العام فيها خلال الاشهر الاولى من الحرب، حتى اخذت القوات تتقهقر شيئا فشيئا، لاسباب عدة كان ابرزها الفارق في التنوع العسكري والفني في العدة والعدد والخطط العسكرية بين الجانبين، ومستوى التنظيم، ورغم ذلك أخطأت ترانسفال عندما وسعت من ساحة المعارك ولم تستطع قواتها من مسك والاحتفاظ بها، ومحاولة الهجوم على مستعمرة الكاب التي تعد مركز القوات البريطانية، رغم وجود اغلبية بويرية فيها، وفي الوقت ذاته كانت تأمل دعم ، (Canoan,2002:364)المانيا لها في الحرب، وبالتالي خسارتها للحرب يوما بعد يوم وكانت التقديرات الخاطئة في انهيار بعض من خطط القادة، العسكريون في الترانسفال ادى الى سرعة قواتها على الجبهات عام١٩٠٠،وعلى الرغم من خسارتها لبعض المعارك الا ان بريطانيا خططت لها بدقة واخذت القوات البويرية تتقهقر في الجبهات، واصبحت القوات البريطانية على ، وفي (Canonan,2002:364) مقربة من عواصم الجمهوريتين لتسقط واحدة تلو الاخرى اعقاب الاحداث الاخيرة اخذت الحرب منحا اخر تمثل بحرب العصابات هنا وهناك تزعمها الجنرال لويس بوثا، مما اثار مخاوف بريطانيا التي اتبعت اساليب بالغة القسوة، بهدف انهاء ما تبقى من القوة العسكرية البويرية والاستيلاء على مخازن الغذاء وزج أسرى البوير في معسكرات الاعتقال وسياسة اتلاف المزارع مما دفع بالمقاومين الى الاستسلام، واعلن النصر البريطاني في الحرب بشروط مرضية للطرفين وفقا لمعاهدة لندن عام ١٩٠٢ (وير،١٩٨٦: ١٨٤).

أحداث حرب البوير ووقائعها في منشورات مجلتي الهلال والمقتطف. ثانيا:

اولت الدوريات المصرية أهمية كبرى للحرب في جنوب افريقيا، وانفردت مجلتي الهلال والمقتطف على نشر تقارير شبه دائميه في أعدادها عن البوير واصولهم وتاريخ تأسيسهم للجمهوريتين وواقعهم الاقتصادي، ففي اول افتتاحياتها عقب الحرب نشرت مجلة الهلال مقالا عن اصل البوير وتاريخ وصولهم لجنوب افريقيا، ونبذة عن توصيفات جغرافية للجمهوريتين، وطريقة ادارة الدولة فيهما، ومجلس برلمانه (الفولكسراد)، وعدد

اعضاء، وسلطت المقالات الضوء عن اهمية موقع الجمهوريتين وطرق التجارة وسيطرتها على بعض مناجم الماس والذهب فيها، وحصولهم على الاستقلال بفضل حنكة وسياسة قادتها تجاه بريطانيا في حرب البوير الاولى عام ١٨٨١ (الهلال،١٨٩٩: ٣٢). واما المقالة الاخرى خصصتها مجلة الهلال لتسليط الضوء على الحرب في جنوب افريقيا تحت عنوان (انكلترا والترانسفال)، وأبرز الاحداث التي شهدها الطرفان والخسائر التي منيت بها بريطانيا خلال الأشهر الأولى للعمليات الحربية (الهلال،١٨٩٩: ٩٢).

اعتمدت مجلتا الهلال والمقتطف على بعض التلغرافات المرسلة من مندوبيتهما في جنوب افريقيا او من خلال الصحف البريطانية او مراسلين حربيين متواجدين فيها، فقد نشرت مجلة الهلال مقالة عن اهم جنرالات الحرب من الطرفين بعنوان (قواد الحرب الترانسفالية)، مع صور شخصية لهم والبطولات التي قدموها لبلادهم والمواقع التي شغلها هؤلاء، وأوضح المقال مكانة الجنرال البويري جوبير الذي حقق انتصارات سريعة في مراحل الحرب على الجبهات المختلفة (الهلال،١٩٠١: ١٠٠).

هكذا اصبحت حرب البوير مثار اهتمام الكتاب المصريين وصحافتهم اليومية والاسبوعية والنصف شهرية، لكون مصر واقعة تحت الاحتلال البريطاني فقد غطت مضامين الحرب وخفاياها على مسامع القراء لهذه المجلة، لذا نشرت مجلة الهلال مقالة حملت عنوان (انكلترا والترانسفال)، وفي مقال لها جاء فيه " ان الحرب ماتزال مشتعلة في جنوب افريقيا، ومازالت قلوب الناس مع البوير وعقولهم مع الانكليز لكون الانسان مفطور لنصرة الضعيف دون مصلحة او دافع، اما خسارة انكلترا فانه يمثل ضربة للتجارة في العالم"، واضاف المقال " العقل لا يتمنى سقوط هذه الدولة والقلب يتمنى الانتصار للبوير، ولا يوفق بين الحسنيين " (الهلال،١٩٠١: ٣٩٩).

وكشفت مجلة الهلال في مقال لها عن مفاوضات شبه رسمية جرت بين الطرفين المتحاربين في ١٧ شباط ١٩٠٠ بشروط بريطانية، ومنها العفو عن قادة التمرد البويريين المنفيين، وانشاء حكومة إدارية تناظر مثيلاتها في سائر المستعمرات الخاضعة لبريطانيا في جنوب افريقيا، ومساعدة المزارعين البوير ماليا، وعلقت المجلة بالقول "من يتأمل تلك الشروط يحكم لأول وهلة بتساهل الانكليز في طلبها، اما البوير فلم يقبلوها" (الهلال،١٩٠١: ٣٩٩-٤٠٠).

حرصت ادارة مجلة المقتطف على السبق في نقل احداث الحرب في جنوب افريقيا وتغطيتها، فقد نشرت مقالة حملت عنوان (حرب الترانسفال)،اذ اوردت الاسباب الحقيقية لحرب البوير منذ الاحتلال البريطاني لمستعمرة الكاب، ومدى المضايقات التي شعروا بها، وادى تزايد التدخل البريطاني الى هجرة البوير

الى خارج المستعمرة نحو اعالي الفال، وقيامهم بتأسيس جمهورياتهم بعيدا عن سلطة بريطانيا وقوانينها (المقتطف،١٨٩٩: ٨٠٧)، ونشرت اهم الشركات الخاصة بالتعدين الموجودة في الترانسفال، وعن اهمية منطقة كمبرلي الغنية بالماس التي كشفت منذ ١٨٦٧، وبلغ الانتاج العالمي للماس فيها نحو(٩٨) بالمائة من الناج العالمي، "افلا تستحق ذلك الصراع من اجلها"، فضلا عن الذهب المستخرج منذ عام ١٨٨٣، والذي بلغ اعلى مستوى لإنتاجها عام ١٨٩٧ (المقتطف،١٨٩٩: ٨٠٧).

بعد ان اتضحت معالم انتصار بريطانيا في الحرب، نقلت مجلة المقتطف وعلى لسان التي تصدر في جنوب افريقيا، نقلتها جريدة Johannesburg)محرر جريدة (جوهانسبيرك اذ تحدث عن اهمية جنوب افريقيا وترانسفالScientific American) (ساين تفك أمريكان بشكل خاص، لما تمتلكه هذه البقعة من خيرات ومعادن وتربة خصبة صالحة للزراعة ومناجم للماس والذهب وصفت بالجبال البركانية، وشبهت بتماثيل (اوفير) التي ورد ذكرها في التوراة ومنها يؤتى بالذهب الى نبي الله سليمان، واحصائيات عن المستخرج بملايين الاطنان (المقتطف،١٩٠٠: ٢٣٢).

ونشرت مجلة المقتطف مستجدات الحرب عندما اقبلت القوات البويرية على التقرب من مستعمرة الكاب، فبادرت المجلة بنشر المقالات التي بينت اهمية المستعمرة وما جاورها لأنها توصل بريطانيا بإمبراطورتيها في الهند وخسارتها سيعرض مركزها للابتزاز، وعن الاتجاه الثاني لموضوع المقالة تناول دور قادة البوير وشروطهم السابقة في حربهم ضد بريطانيا عام ١٨٨١، أي حرب البوير الاولى ونتائجها على ارض الواقع (المقتطف،١٩٠٠: ٢٣٢)، وهكذا نلحظ ان مقالات المجلتين فيهما من التشابه الكثير عن الحرب من خلال نشر أسبابها ونتائجها ، ويبدو ان مجلة (المقتطف) نشرت تفاصيل الحرب اكثر من غيرها، اذ أوردت نص التلغراف الذي ارسله اللورد (سالسبيري) رئيس الحكومة البريطانية في الاول من نيسان عام ١٩٠٠، والتي ضمنوها شروطهم لوقف الحرب، اذ حمل التلغراف الى قادة البوير جوابا على رسالتهم التي بعثوا بها سابقا، اذ رفضت الحكومة البريطانية على لسان الملكة (اليزابيث الاولى مطلبهم وجاء فيها" لا يسع حكومة جلالتها الا ان تجيب سعادتكم على تلغرافكم Elizabeth1)بالقول(انها غير مستعدة لقبول استقلال الجمهوريتين)، واستأنفت منشورات المجلة بشأن الحرب (المقتطف،١٩٠٠: ٣٣٠).

وفي نهاية حرب البوير نشرت مجلة الهلال تفاصيل دقيقة جاء في أحد عناوينها (إنكلترا او الترانسفال اول الحرب واخرها)، اذ استعرض إحصاءات رقمية عن خسائر بريطانيا البشرية من عدد القتلى والجرحى والاموال التي صرفت على الحرب مقارنة بالخسائر البويرية، ونشرت توضيحا لشروط الصلح، الذي وافق

عليه قادة البوير وفيها تضمين حقوقهم المتعلقة بالتعويضات، وحق التعليم باللغة الهولندية وغيرها من البنود والحقوق التي ثبتت من اجل وثيقة الصلح وبنودها الاحدى عشر الأخرى (الهلال،١٩٠٢: ٥٥٠-٥٥٤).

الخاتمة والاستنتاجات:

أولاَ: أظهرت بريطانيا هيمنتها وبنحو تام في تواجدها على أراضي جنوب افريقيا مستغلة ضعف الإمكانات المتاحة لسكانها على المقاومة.

ثانيا: قدمت مجلتا الهلال والمقتطف موضوعات ومتابعات دقيقة بمجريات حرب البوير بشكل موجز.

ثالثا: أثرت إدارة المجلتين الحياد، الا انها أظهرت ميلا قليلا الى جانب البوير بسبب عدائها لبريطانيا، سيما ان مصر كانت آنذاك تقبع تحت طائلة الاحتلال البريطاني.

رابعا: كشفت المجلتان للقارئ العربي عن الوجه الحقيقي لبريطانيا واساليبها السياسة والاستعمارية تجاه الشعوب التي استعمرتها، مبينة عزمها على مواصلة الكفاح وكشف زيف وعودها المعسول، ولا شك ان تجارب الشعوب العربية معها مريرة.

خامسا: واصلت المجلتان جهودهما الصحفية والإعلامية في أناره الرأي العام العربي، واثارة اهتمامه بغية اذكاء الروح الوطنية المناهضة للاحتلال والمطالبة بالاستقلال واعداد ذلك جزء من حقوقه الطبيعية المشروعة.

الهوامش الايضاحية:

(*) عد رودس من بناة الإمبراطورية البريطانية، سعى لإنجاح مشروعه الامبريالي لربط سكة حديد من الكاب الى القاهرة، تسلم رئاسة حكومة الكاب للأعوام ١٨٩٠-١٨٩٥، استعان بالدكتور ليندر ستار جيمسون مساعدا له ومديرا تنفيذيا لشركاته في جنوب افريقيا، اوكل له رودس مهمة التنسيق مع الرعايا البريطانين العاملين في مناجم التعدين ومساعدتهم للقيام بالمؤامرة المعروفة بـ (غارة جيمسون)، بعد ورود شائعات تفيد بغليان المنطقة(جوهانسبورك)، ضد سياسة حكومة الترانسفال التي كانت على علم مسبق بخيوطها.

الساعدي، علي صدام صحن والعبادي، عماد نعمة، سيسل جون رودس ودوره في المصالح البريطانية ١٨٥٣-١٩٠٢، (المجلد ٢٦)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، (بغداد ٢٠١١)، ص ١-٨.

(*) يعد ملنر رجل دولة وسياسي من الطراز الأول، تمتع بدهاء وذكاء مميزين، تسلم مناصب عدة، دخل البرلمان البريطاني عام ١٨٨٥، عمل محاميا وتسلم منصب المستشار المالي في مصر عام ١٨٨٢، أصبح

مندوبا ساميا لحكومة جنوب افريقيا واوكل له مهام عديدة أبرزها طرح مشروع توحيد الوحدات السياسية البيضاء فيها. للمزيد ينظر:

غلام، عباس، السير الفريد ملنر وسياسته في جنوب افريقيا١٨٩٧-١٩٠٥ دراسة تاريخية، العدد ٥١، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، (بغداد ٢٠١٥)، ص ١٨٧-١٩٨.

قائمة المراجع والمصادر العربية والإنكليزية

أولا: المصادر العربية والمعربة:

١-اوليفر، رولاند. فيج، وجون، موجز *تاريخ افريقيا*، ترجمة دولت احمد صادق، (القاهرة، ١٩٦٥).

٢-الجمل، شوقي عطا الله، *تاريخ كشف افريقيا واستعمارها*، (القاهرة، ١٩٧١).

٣-حوراني، جورج فاضل، *العرب والملاحة في المحيط الهندي*، ترجمة يعقوب بكر، (القاهرة، ١٩٥٨).

٤-الصقار، فؤاد محمد، *التفرقة العنصرية في افريقيا*، (القاهرة، ١٩٦٢).

٥-وايدنر، دونالد. ل.، *تاريخ افريقيا جنوب الصحراء*، ترجمة احمد فخري وشوقي الجمل، (القاهرة،١٩٧٦).

٦-وير جدوين. س.، *تاريخ جنوب افريقيا*، ترجمة عبد الرحمن عبد الله، (الرياض، ١٩٨٦).

٧-رياض، زاهر، *استعمار افريقيا*، (القاهرة، ١٩٦٥).

ثانيا: المصادر الأجنبية:

1- Bwll,N. *Hwroes of Discovery in South Africa*, (London, 1899).

2- *Boer War*, (oxford, 2002) Canonan, Arthur, *the Great*

3- Cann, L.G. and Duignan, *Petar, Colonialism1870-1960,* Vol.1 (London, 1969).

4- Marais, J.S. *the cape colors people 1652, 1937*, (Johannesburg, 1962,),

5- Millin,Sarah, *Gertrude an Introduction to the history of south Africa*, (London, 1941),

6- Marquard,Leo, *the peoples and policies of south Africa*, (London, 1960).

7- Spuler,Bertold, *Rulers and Governments of the world,1422-1929*,Vol.2, (Bowker, 1977),

8- Troup, Freda, *South African a Historical, Introduction*, (London, 1972).

9- Walker, Eric A. *a history of southern Africa,* (London, 1941).

10- Walker, Eric A, (1963), *The Cambridge History of British Empire,* Vol8, Cambridge at the University press, (Cambridge)

الموسوعات العربية والأجنبية:

١-*الموسوعة العربية*، ط١، ج٤، هيئة الموسوعة العربية، (سوريا، د، ت).

٢- *The new Encyclopedia Britannica*, vol.2, 8, 10, ed., (Chicago, 1988).

الصحف والمجلات:

١-الهلال، مجلة مصرية شهرية، (المجلد ٢، ١٨٩٩.٨. ١٩٠٠، المجلد ٩ .١٩٠١ المجلد١٨. ١٩٠٢).

٢-المقتطف، مجلة مصرية شهرية، (المجلد٢٣. ١٨٩٩،المجلد٢٤. ١٩٠٠).

٣-الساعدي، علي صدام صحن والعبادي، عماد نعمة، سيسل جون رودس ودوره في المصالح البريطانية ١٩٠٢-١٨٥٣، (المجلد ٢٦)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، (بغداد ٢٠١١).

٤-عباس، غلام، السير الفريد ملنر وسياسته في جنوب افريقيا ١٨٩٧ -١٩٠٥ دراسة تاريخية، (العدد ٥١)، دراسات في التاريخ والاثار، (بغداد ٢٠١٥).